ليست المعارضة شجاعة

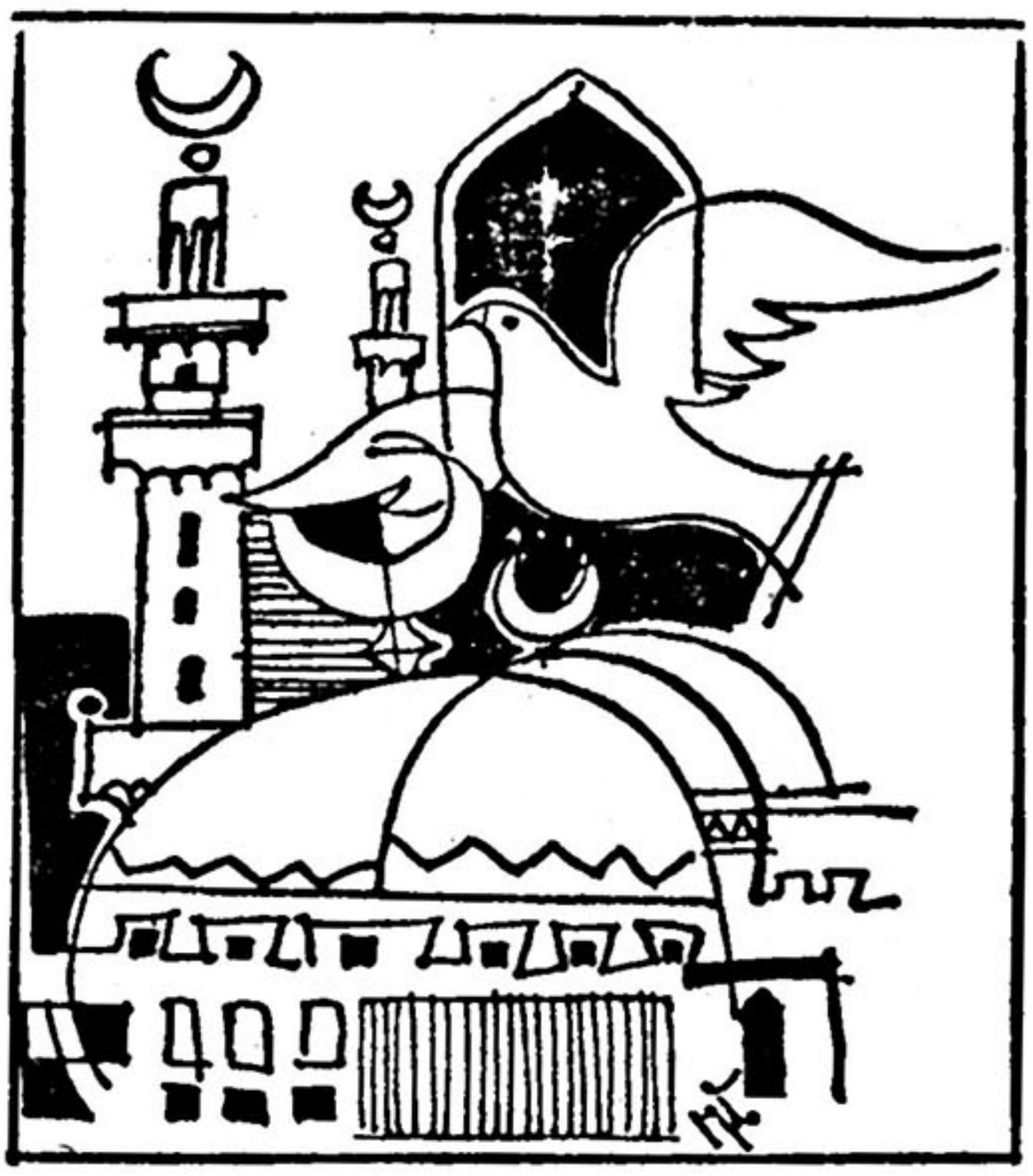

هذا الراى تاييدا او معارضة وان كنت بالتاكيد معارضا مختلفا بشدة
ولماذا اخافه . والسجون قد اغلقت وطوى الطغاة قد كفت عن العمل .

ولا شيء يخشاه المؤيد الا ان يقول الناس انه يسالىء الحاكم وما هذه القالة ببسيرة على من تعود ان يكون حرا فى رايه . ولكن ان جعلتنى مثل هذه الاقوال اميل عن رايى الحقيقى فاننا اذن شر من المنافقين واهون شانا من المداجين ونجار الكلمة وبائعة الثوب والدين بمنهون شرف القلم وكرامة الاحرار .

لهذا ايدت السادات فى رحلة القدس التى قام بها الى اسرائيل . وهى اعتقادى ان هذه الزيارة ستكون علامة الجيل الذى نعيش فيه . فان رجلا فى مثل ذكاء السادات كان يستطيع ان يجعل هذا القباح المتكالب عليه من شتى الانحاء ومن اشباه دول ومن قاماتنظمات ينقلب كله مديحا وتصفيقا وهتافا وتهليلا . وقد عاش الشرق الاوسط قرابة ربع القرن والزعامات فيه لا تنظر الى الصوالح الاساسية لدولها وللامة العربيه وانما تنظر الى هذا المديح الكاذب وذلك التصفيق الفارغ والتهليل الجاهل .

وكانت السياسات تبنى لا من اجل مصالح الشعب وانما من اجل هذا التصفيق وذلك الهتاف .

وهزمنا عام ٥٦ وارتفع التصفيق وتعالى الهتاف باننا انتصرنا وضاعت شرم الشيخ فى غمرة هذه الاصوات الرعناء الخائبة .

ثم دخلنا حرب اليمن وطغت الاصوات الخادعة على الحقيقة المؤلمة . وجاءت ٦٧ بكل البؤس والمهانة والاذلال . ولم نحاول يومذاك ان نفكر فى الوسيلة التى ترد الينا بعض نفوسنا وانما استمر الصراخ والتصفيق يتمثل فى هتافات صريحة جوفاء او يتمثل فى القصائد والمعلقات او فى الخطب التى تطول وتطول ثم لا تقول شيئا .

وفى هذه الفترة اتفق بعض الكتاب ممايحبق بوطنهم من هتافات بلا عمل . وكنت منهم ولم يكن ندرى ان زعامة جديدة بفكر جديد تعمل فى ظل الكتمان وحسبنا ان زمن الهتافات والقصائد والخطب باق لم يتغير منه شيء . فكتبنا بيانا نريد فيه للديمقراطية ان تحكم عيشنا فى ظلها نستطيع ان ننجز ما ينبغى له ان ينجز .

كما يومذاك لا نعرف الزعيم الجديد . وكما يومذاك قد ملئنا الخطب وكما يومذاك

نحس المرارة اشد ما تكون المرارة وفوجئنا باكتوبر ووجمنا وما هى الا ساعات فاذا العرب يحققون نصرا لم يتحقق لهم منذ ايام صلاح الدين .

اذن فالامر جد . واذن فالرجل يعمل ولا يكتفى بالقول واصبحنا مؤيدين . وان لم نكن قد فعلنا لبرئت ساحتنا الوطنية ولاصبحنا امام انفسنا صغارا لا نبحث عن الحق وانما نميل عنه الى الباطل والزيف . ولم يجعلنا هذا التأييد نغض العين عن النقد فكنا نكتب عن العيوب فى وضوح وصدق وكان ما نكتب دليلا على ان قدرا من الحرية قد تحقق لم نكن نحلم فى يوم من الايام انه سيتحقق .

ومرت الايام بعد اكتوبر . وتكالبت الذئاب على النصر تريد ان تهون منه .

ولم تكن الذئاب من الاعداء وانما كانت منا نحن . كانت من بعض ناس ينتسبون الى العربية والاسلام فى اصولهم والى الالحاد والشيوعية العالمية فى معالجهم انتمائهم .

وكانت الذئاب من قوم يمزقون بينهم قميصا منهرئا اهلكته الهزائم فاسى اصحابه يكرهون النصر .

ولكن النصر حقيقة لا يغض منها ابناء الالحاد او المستظلون بالقميص البالى .

النصر حقيقة اعترف بها الاعداء ثم ينكروا منها شيئا واعترف بها العالم اجمع ووضح اعترافه فى استقبال الولايات المتحدة لانور السادات وفى استقبال بلاد اوروبا له وقد كانت جميعها تشيح عنا فى صلف وتصعر لنا خدها فى تكبر فما كنا قبل النصر الا بلادا تنزع انفاسها الاخيرة من الحياة انتزاعا فما ينبغى لها ان تعيش من بعد .

حتى اذا عبرنا عرفوا اننا لا نموت

اذن فالعالم لم يصدق المتهجمين على النصر والمتفاخرين بالهزيمة .

وماذا بعد ؟

كان السادات يستطيع ان يقول لقد حققت النصر وها انذا اتفاوض للصلح فان لم يتم فى عهدى فليتم من بعدى وحسبى اننى اعدت الى الامة العربيه شعورها بالكرامة . ولكنه لم يقل هذا .

وانما فكر ثم عظم عندنا من التوجس والخوف والحذر هو اقوى واضخم من كل الحصون التى عرفها العالم .

خلف هذا الحصن كانت تقف اسرائيل مترقبة دائما متحيطة فى كل لحظة من لحظات حياتها فهى من خوف الحرب فى حرب دائمة وهى محقة .

فاننا لم اعجب حين قال الرئيس ان حربا كانت ستشتعل فى الايام العشره السابقة على الزيارة لمجرد سوء ظن داخل اسرائيل وداخل مصر فى وقت معا .

والاصل فى الحياة هو السلام . والحرب عارض واستثناء . وليس من المعقول ان نظل فى حالة حرب مدة ثلاثين عاما . فانه لابد للحرب ان تنتهى .

والعالم اليوم اصبح عالم سلام . ولعله من العجيب ان السلام سادالعالم لان القوتين المظميين يملكان اسلحة لم يعرف العالم مثيلا لها فى التدمير . فمن الدمار نشأ السلام .

وبفضل هذه الاسلحة لم تحدث حرب عالمية لمدة اوشكت ان تقارب ربع القرن

واصبح العالم اليوم يريد ان يقضى على الحروب الصغيرة التى يستحيل لها ان تنشب الا بمساعدة الدول الكبرى .

هكذا تريد امريكا وهكذا تتظاهر روسيا . وان كانت هذه الاخيرة لا تريد للسلام ان يلف الشرق الاوسط لاننا تحت ظل السلام سنصبح فى غير حاجة لروسيا على الاطلاق .

وسواء كان العالم يريد السلام او لا يريده — وهو لاشك يريده — فاننا نحن المصريين ونحن ابناء دول المواجهة لاشك نحتاج الى السلام كما تحتاج اليه اسرائيل . وفى شجاعة اعتقد ان التاريخ لم يعرف لها مثيلا ذهب الرئيس الى اسرائيل . وحين عاد بعد ان محق خط الحذر الذى كان يفصل بيننا وبينهم لم يشا ان ينتظر وانما دعا الى التفاوض حتى يمهد لمؤتمر جنيف . واعلن انه ماض فى الطريق .

ان رجلا يصنع كل هذا التاريخ لجدير بان نقول عنه فى غير تحفظ انه زعيم ابتكر من الوان الشجاعة والذكاء السياسى ما لم يسبقه اليه احد .

واعلم ان هناك مصريين فى بعض الدول العربية والاوروبية يذيعون البيانات ضد الرئيس . واى عجيبة فى هذا . لقد اختاروا ان يبيعوا ضمائرهم ومصريتهم ومن يبع هذين جدير ان يفعل اى شيء . وان ما يفعلونه اليوم ليهون بهم الشجب ولو كانوا صنعوا غير هذا لجاز لنا حينئذ ان يلفتنا التعجب او تتولانا الدهشة .